Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

الإعجاز في استعمال الالفاظ التي يقتضيها فن التعبير البياني من النصوص القرآنية

د. شيماء جيجان دغيث عبد الرزاق

جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات-العراق

shymajyjan@uoanbar.edu.iq

الملخص: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، يهدف البحث إلى ايضاح مواقع الإعجاز اللغوي في استعمال بعض الكلمات التي يقتضيها المعنى، فن التعبير القرآني المبني على النصوص القرآنية؛ لأنه دليل القرآن على عجز الخلق عن القيام بما تحداهم عليه، والذي تظهر اهميته من خلال بيان الاوجه القرآنية التعبيرية المقتصدة في الألفاظ والموفية بحق المعاني، وهاتان الخصيصتان لا يمكن الجمع بينهما إلا في لغة القرآن الكريم، فالذي يعمد إلى ادخار اللفظ لا شك أنه لا يستطيع أن يعبّر عن مراده ، لذلك يصبح اللفظ هيكلاً والذي يعمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليله إلى عناصره لا بدّ له من كثرة الألفاظ؛ ليشفي صدره فيكون هنالك إملال وإسراف وتكلف باستعمال الألفاظ والتراكيب الغريبة، ومنهم من يلقي حول المعنى كلاماً كثيراً وركاماً من الحشو والفضول فيبدل المعنى، ولكن كيف تجمع لنا هاتان الخصيصتان على تمامهما في القرآن الكريم فنجد فيه البيان الذي لا تخمة فيه ولا مخمصة التقتير؛ ليؤدي لنا المعنى بصورة نقية وافية، والأدلة على تنسيق العبارات والقصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى تشمل القرآن كله من أوله إلى آخره، ولما جاء فيها من سمو ورفعة لكل من يتمحص ويدقق النظر في كلام الله (عز وجل) كارتباط الآيات بعضها ببعض، وارتباط فواتح السور بخواتيمها، وارتباط السور بعضها ببعض، واختيار الألفاظ دون مرادفاتها، وإيثار افعال على افعال اخرى، وتقديم الالفاظ والجمل والكلمات الأحرف على غيرها، والتشابه بين آيتين من حيث المعنى والقصة والمحتوى، إلا أنّها تختلف عنها بلفظٍ بسيط.

الكلمات المفتاحية: التعبير ، الإعجاز ، البيان.

The Miracle In The Use of Words Required By The Art of Expression From Qur'anic Texts

Dr. Shaima Jijan Dghaith Abd-al Razzaq

Anbar University / College of Education for Girl/ Iraq

shymajyjan@uoanbar.edu.iq

Received 23/03/2024 - Accepted 06/05/2024 - Available online 15/05/2024

Abstract : Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our Prophet Muhammad (may God bless him and grant him peace) ,The research aims to

explain the sites of the linguistic miracle in the use of some words required by the art of expression from the Qur'anic texts, Because the miracle is the Qur'an's proof of the inability of creation to produce what it challenged them with, as evidenced by what God Almighty has stated in His decisive Book: { If mankind and the jinn gathered together to produce the like of this Qur'an, they would not produce the like of it" And if they had been helpers of one another(the importance of which is apparent, By explaining the expressive aspects of the Qur'an that are sparing in words and faithful to the meanings, and these two characteristics cannot be combined except in the language of the Holy Qur'an, Expressiveness that is economical in words and faithful to the meanings, and these two characteristics cannot be combined except in the language of the Holy Qur'an, The one who intends to save the word will undoubtedly not be able to express what he wants, so the word becomes a structure and the one who intends to fulfill the meaning and analyze it into its components must He has many words To heal his chest, there will be boredom, extravagance, and the use of strange words and structures, and among them are those who throw a lot of words around the meaning and a heap of tautology and nonsense, and change the meaning, But how do these two characteristics come together for us in their completeness in the Holy Qur'an, so that we find in it the clarification in which there is neither gluttony nor the purge of frugality To give us meaning It contains sublimity and elevation for everyone who examines and closely examines the word of God – the Almighty – such as the connection of verses with one another, the connection of the beginnings of the surahs .

Keywords: Miracle, Words, Expression.

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، وخالق الإنسان أحسن تقويم، وكرمه أعظم شرف، وأخضع له الكون بتحديداته وتفضيلاته، ومنحه موهبة العقل. ومنحته طبيعة تميل إلى الكمال، وأعطته حرية الإرادة في إعطاء قيمة لعمله، فمن أراد أن يعرف الكلمة برمتها فليهتم بفضيلة المعجزات ويفهم بلاغتها. فعلم بكفاية الإيجاز، فليتدبر القرآن ويتفكر في جلاله. والصلاة والسلام على من رفع درجات الهدى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم). وأبلغ من قال عكس ذلك.

بعد ذلك تتضمن المقدمة نظام الدراسة وهي دراسة تطبيقية، وأسباب الدراسة، وأهداف البحث، وأهمية البحث، وحدود البحث، وخطة البحث.

اسباب الدراسة

1) من خصائص الإعجاز البياني في القرآن الكريم أنه يقتصد في الألفاظ ويفي بحق المعاني، وهاتان الخصيصتان لا يمكن الجمع بينهما إلا في لغة القرآن الكريم.

2) يعد الإعجاز البياني أعلى أنواع التعبير، وأوضحه في بيان المقصود، وأيسره على المعبرين عنه؛ لأنه في الأصل يعبر عن البيان والوحي.

3) يمكن أن تختلف الدلالات من حيث القوة والضعف، والغموض والوضوح، ومن خلال البيان تظهر الميزة بين القول والقول والمعنى والمعنى، وهو الأقدر على وصف المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين، وبفضله نستطيع أن نفهم مكانة اللغة العربية وأسرارها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وبأساليبهم في التعبير والبيان.

اهداف البحث

إنّ لكل موضوع تمعن صاحبه في الدراسة اهداف معينة، وإلا لما وقع اختيار اي موضوع للدراسة العلمية فيه دون وجود اهداف تقتضيه، فمن اهداف اختياري للموضوع هي:

1) ما احتوت عليه السور من حيث السياق والمحتوى، مع وجود الترابط الدقيق والوثيق بينهما، وسأقتصر على ذكر مثال واحد بين هذا الترابط الوارد بين هاتين السورتين، وهو الترابط الذي ورد في موضع من قوله ــ عز وجل ــ : (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السماء)(سورة الحجر الآية 14) ، بينما في فاطر جاء التعبير بقوله ــ عز وجل ــ :(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) (سورة فاطر الآية 41)، من هنا ينطلق الارتباط بين السورتين، إذ اختصت سورة فاطر بمجيء لفظة (السماوات)، بينما في سورة الحجر جاءت بلفظة (السماء)؛ لأن لفظ السماء أعم واوسع من لفظة (السماوات).

2) احتواء السور القرآنية على الآيات المتضمنة لمسائل بيانية ولغوية، ثم بيان المعنى المقصود من هذا التشابه المختلف في اللفظ، وكل هذه المسائل قد تناولتها في نصوص التقديم والتأخير، والتشابه والاختلاف .

اهمية البحث

1) إنّ ملامح إعجاز القرآن متعددة النواحي، مفتوحة النظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ؛ لأنّه الكتاب الوحيد المتواجد على

هذه الأرض التي لا تنتهي عجائبها ولا تنفد عطاياها؛ ولا يزال الناس يكتشفون جوانب كثيرة من معجزاته؛ لأنه الكتاب المعجز الذي جعله الله منقذ البشرية من الظلمات إلى النور، وبسبب هذه الأهمية الكبيرة التي يختص بها كتاب الله سبحانه، فإن اختياري هو موضوع دراستي له علاقة بالقرآن الكريم.

2) بيان الاوجه القرآنية البيانية، لما جاء فيها من سمو ورفعة لكل من يتمحص ويدقق النظر في كلام الله (عز وجل) كارتباط الآيات بعضها ببعض، وارتباط فواتح السور بخواتيمها، وارتباط السور بعضها ببعض، واختيار الألفاظ دون مرادفاتها، وإيثار افعال على افعال اخرى، وتقديم الالفاظ والجمل والكلمات الأحرف على غيرها، والتشابه بين آيتين من حيث المعنى والقصة والمحتوى، إلا أنّها تختلف عنها بلفظٍ بسيط، وغير ذلك كثير مما ورد في السياق القرآني من الناحية البيانية.

حدود البحث

حدود البحث موضوعية وتطبيقية تتعلق بآيات الله تعالى من الناحية التعبيرية البيانية.

خطة البحث

قسمت البحث الى مقدمة ، وتمهيد، ومبحثان، والنتائج التي توصلت اليها، ومناقشة وخلاصة.

التمهيد

ويتضمن تعريفاً للمصطلحات اللغوية وهي الإعجاز، وشرحاً ثم شرحاً لأهمية الإعجاز التصويري وخصائصه في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التقدم والتأخير، وقد طبقت الدراسة على هذا الموضوع، ولها مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السلف والتأخير، وأوجهه وشروطه.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لعينة من الآيات التي وقع فيها معجزة التقديم والتأخير.

المبحث الثاني: الأسلوب القرآني بين التشبيه والاختلاف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحديد أوجه التشابه والاختلاف في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الدراسة التطبيقية بين التشابه والاختلاف.

الدراسات السابقة

1) بحث بعنوان دراسات الإعجاز البلاغي بين القدماء والمحدثين(دراسة نقدية تقويمية)، للدكتورة هناء عبد الرضا رحيم الربيعي.

2) رسالة بعنوان الإعجاز اللغوي في الفاصلة القرآنية من سورة النساء ، للباحث موسى مسلم الحشاش.

المنهج المتبع في كتابة البحث

1) استخدام كتب التفاسير القديمة والحديثة، وكذلك كتب النحو والمعاجم والتراجم واعراب القران وكتب اللغة وكتب البلاغة والبيان.

2) تخريج الآيات القرآنية اين ما وجدت.

3) عرض المفردات المخصصة لكل متطلبات من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم التعريف بالمصطلح العلمي بصورته الإضافية، وكذلك ذكر توطئة لكل مبحث علمي.

التمهيد

ويشتمل على تعريف مفردات البحث لغة واصطلاحاً ثم بيان أهمية الإعجاز البياني وخصائصه في القران الكريم:

الإعجاز في اللغة: مأخوذ من الضعف ويدل على الفوت السبق وعدم القدرة على الادراك (Ibn manẓūr,1414).

الإعجاز في الاصطلاح: هو دليل القرآن على عجز الخلق عن القيام بما تحداهم عليه (al-Jurjānī , 1413).

البيان في اللغة: المراد به بيان المقصود بأفصح العبارات، وأصله الكشف، وهو من فهم القلب وذكاءه باللسان، فهو الفصاحة مع الذكاء، يقال: واضح الكلام، أي ليقول فصيحا، ويقال أيضا لأفصح الرجال: فصيح، لين اللسان، وفلان أفصح من كذا، أي: أفصح منه وأوضح في كلامه (al-Rāzī, 1420).

البيان في الاصطلاح: وهو علم يتم من خلاله التعبير عن المعنى بطرق مختلفة ذات معنى واضح، ولتفادي الأخطاء في اقتران الكلمات، واستكمال المقصود به، فهو اسم جمع يكشف غامض المعنى، ويقود السامع إلى حقيقته؛ لأن مركز الأمر الذي يجري بين المتكلم والسامع هو الفهم الذي يظهره البيان للسامع (al-Jāḥiẓ, 1424).

الإعجاز البياني: هو العلم الذي يمكن به معرفة أحوال المعجزات، إذ ان لا سبيل إلى الاطّلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك علم البيان (Al'lwī ,1423).

أهمية الإعجاز البياني وخصائصه في القران الكريم كالاتي:

1) يعد الإعجاز البياني أسمى أنواع الإعجاز القرآني وأعلاها ، وأوضحه في بيان المقصود، وأيسره على من عبر عنه؛ لأنه في الأصل يعبر عن البيان والوحي، ومعه تختلف الدلالات من حيث القوة والضعف والغموض والوضوح، ومعه تظهر الميزة بين القول والمعنى ، وهو الأقدر على تمثيل المعاني الدقيقة ننقلها إلى السامعين، وبفضل هذا نستطيع أن نفهم مكانة اللغة العربية وأسرارها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وأساليبهم في التعبير والتوضيح (al-Maṭ'anī,1992).

2) الإعجاز البياني يظهر لنا المعاني الدقيقة والحكم العظيمة والمباني الرائعة لكتاب الله (عز وجل) ؛ لأنّ أول ما يتسم فيه خطاب القرآن هو الفخامة، حيث يكتسبها من تنقية التعليقات الغير المرغوبة أو المبتذلة، واستخدام الألوان المميزة والتكرار التي تشعرنا بهذه الفخامة في كل ما يتناوله القرآن من الأغراض (al-Badawī,2005).

3) ومن خصائص الإعجاز البياني في القرآن الكريم أنه يقتصد في الألفاظ ويفي بحق المعاني، وهاتان الخصيصتان لا يمكن الجمع بينهما إلا في لغة القرآن الكريم، فالذي يعمد إلى ادخار اللفظ لا شك أنه لا يستطيع أن يعبّر عن مراده ، لذلك يصبح اللفظ هيكلاً والذي يعمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليله إلى عناصره لا بدّ له من كثرة الألفاظ؛ ليشفي صدره فيكون هنالك إملال وإسراف وتكلف باستعمال الألفاظ والتراكيب الغريبة، ومنهم من يلقي حول المعنى كلاماً كثيراً وركاماً من الحشو والفضول فيبدل المعنى، ولكن كيف تجمع لنا هاتان الخصيصتان على تمامهما في القرآن الكريم فنجد فيه البيان الذي لا تخمة فيه ولا مخمصة التقتير؛ ليؤدي لنا المعنى بصورة نقية وافية، والأدلة على تنسيق العبارات والقصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى تشمل القرآن كله من أوله إلى آخره، طوال السور وقصارها (Ḥikmat al-Ḥarīrī ,1434).

المبحث الاول: تعريف التقدم والتأخير وأوجهه وأحواله، والدراسة التطبيقية لنموذج من الآيات التي وقع فيها إعجاز التقدم والتأخير

المطلب الاول: تعريف التقدم والتأخير وأوجهه وأحواله

أولاً: تعريف التقدم والتأخير

عرفه عبد القاهر (رحمه الله) بقوله: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المَحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان"(al-Jurjānī , 1413).

ثانياً: أوجه التقديم والتأخير

قد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنّ تقديم الشيء وتأخيره يأتي على وجهين هما:

1) تقديم نية التأخير، وهذا في كل ما أقر مع تقديم قراره على أنه كان، وفي الجنس الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا سبقه موضوع، والـ كائن إذا سبقه الفاعل، ومثال ذلك: نقطة البداية لزيد، وعمر مضروب بزيد، فنعلم أن (نقطة البداية) (وعمر) لم يخرجا عن أسبقية ما كانا عليه من الفاعل. من جهة أن هذا خبر مبتدأ بالفاعل واسمه، وأن هذا هو المبتدأ والنصب لذاته، كما لو تأخر (al-Jurjānī , 1413) .

2) التقديم لا بقصد التأخير، بل لنقل الشيء من قاعدة إلى قاعدة أخرى، وجعله قسماً غير قسمه، وشكلاً نحوياً غير وظيفته النحوية، كالتوصل إلى اسمين يمكن لكل منهما أن يكون موضوع، والآخر محمول عليه، فتارة يأتي هذا قبل ذلك، وتارة يأتي قبل ذلك، ومثال ذلك كقوله مرة: (زيد البداية) ومرة أخرى: (زيد البداية) ، وفي هذه الحالة لم يسبق (نقطة

البداية) القرار الذي اتخذه بالتأخير، فيكون خبراً موضوعياً كما كان؛ بل على العكس من ذلك، انتقل من منزلة الخبر إلى منزلة الموضوع، وكذلك (زيد) لم يطل وقتاً حتى أصبح موضوعاً كما كان؛ إنها بالأحرى مسألة نقلها من حالة الذات إلى حالة الشؤون الجارية (al-Jurjānī, 1413).

ثالثاً: أحوال التقديم والتأخير

1) تقديم اللفظ لفاعله: ويشمل تقديم المفعول به قبل فعله، وتقديم الظرف قبل فعله، وتقديم الظرف والمضاف إليه وحرف الجر قبل فعلهما، وتقديم المسند قبل الفاعل، وهذا التقديم غالباً ما يكون ما يشير إلى التخصص ، ومنه قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدَ) (سورة الفاتحة الآية 5)، حيث قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية، فلم يقل: (إيانا اهد) كما قال في الأولين، والسبب في ذلك؛ أنّ العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى وحده، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به، وهو نظير قوله تعالى:(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)(سورة البقرة الآية 172)، حيث قدم المفعول به على فعل العبادة في هذه الآية؛ لأن العبادة مختصة بالله تعالى (al-Sāmarrā'ī ,2007).

2) ومن هذا النوع من التقديم أيضاً قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ)(سورة الملك الآية29) ، حيث قدم في هذه الآية الفعل (آمنا) على الجار والمجرور (به) وأخر الفعل (توكلنا) عن الجار والمجرور (عليه)، والسبب في ذلك هو : "إن الإيمان لما لم يكن منحصراً في الإيمان بالله؛ بل لابد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده؛ لتفرده بالقدرة والعلم القديمين الباقيين قدم الجار والمجرور فيه؛ ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأن غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه" (al-Zarkashī , 1957).

وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض التوجيه والمدح والثناء والتعظيم والتحقير، إلا أنّ الأكثر فيه أن يفيد الاختصاص، ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) (سورة الانعام الآية 84)، فهذا لا يعد من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحاً، وإنما هو من باب المدح والثناء، وقوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (سورة الضحى الآية 9)، ، إذ ليس المقصود في هذه الآية جواز قهر غير اليتيم ونهر غير السائل، وإنما هو باب التوجيه؛ لأنّ اليتيم والسائل ضعيفان وهما مظنة القهر، لذلك قدمهما في هذه الآية؛ للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما (al-Zarkashī, 1957).

2- تقديم الكلمة وتأخيرها على غير وكيلها: هناك أسباب لتقديم كلمة أخرى يقتضيها موضع البيان وسياقه، ومنها تقديم الرعاية والمصلحة والرغبة. فكلما زاد الاهتمام بالكلمة، زادت الأسبقية في الكلام، ولا يحدث الاهتمام بالكلمة بمعنى أنها كلمة معينة؛ وعلى العكس من ذلك فإن الحذر قد يكون من وظائف الظروف، فلا بد من تقديم كلمة في مكان ثم تأخيرها في مكان آخر. لأن مراعاة مقتضيات الحال تقتضي ذلك، والقرآن الكريم هو أعلى مثال على هذا النوع، فنراه يقدم الكلمة مرة ويؤخرها أخرى حسب الموقف والسياق الذي يتطلب ذلك. فنراه مثلا يقدم الأرض على السماء، وتارة يقدم السماء على الأرض، وتارة يقدم الإنسانية على الجن، وتارة يقدمهم الجن على الإنس، وأحيانا يقدمون الضرر على النفع. وأحياناً يفضلون المنفعة على الضرر ويمكن أن يكون سياق الكلام متدرجا حسب القدم وأولوية الوجود، فينظم ذكر الكلمات على هذا الأساس، بدءا من الأقدم، ثم الذي يليه وهكذا ، نحو قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (سورة الذاريات الآية 56)، فخلق الجن قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى: (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) (سورة الحجر الآية 27)، فذكر الجن أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم، ونحو قوله تعالى:(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (سورة البقرة الآية 255)، ونلاحظ أن كلمة "السنة" مقدمة على كلمة "النوم" في هذه الآية، واعلم أن السنة وهي النعاس تسبق النوم بذكرها أولا ثم ذكر النوم بعدها، وكل هذا يتفق مع ما يتطلبه فن الكلام ومع سياق التعبير الذي قام فيه كريم بالتأليف في هذا

الفن، ضع الكلمات التي تستحقها في الراء حتى تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم بوضع الكلمة مع مراعاة السياق الذي وردت فيه؛ بل راعى جميع مواضع ذكر الكلمة ومقعدها ونظرة شاملة في جميع أنحاء القرآن الكريم، حتى نلاحظ أن التعبير متسق ومتناغم مع سائر التعبيرات الرائعة، تعبيراً فنياً جذاباً ومتكاملاً (al-Sāmarrā'ī, 2007).

المطلب الثاني: الدراسة التطبيقية لنموذج من الآيات التي وقع فيها إعجاز التقديم والتأخير

قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) (سورة فاطر الآية6)، في هذه الآية وقع تقديم الجار والمجرور (لكم) على متعلقه (عدو)؛ وذلك للاهتمام بهذا المتعلق لذا فرع عنه أن أمروا باتخاذه عدواً؛ لأنهم إذا علموا أنّه عدو لهم حق عليهم اتخاذه عدواً وإلا لكانوا في حماقة، وفيه تنبيه على عداوة الدعاة في الضلالة المستمدين من الشيطان، ودوام مخالفة الشيطان؛ لأنّ بعض الناس من لا يوافقه بالقول لكنه يوافقه بالفعل، ولن يقوى الانسان على عداوته إلا بدوام الاستغاثة بالله، وتلك الاستغاثة تكون بصدق الاستعانة، ولما كان في الآية السابقة في قوله تعالى: (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (سورة فاطر الآية5)، إبهام في المعنى المراد من (الغرور) عقب ذلك ببيانه بأن الغرور هو الشيطان ليتقرر المسند إليه بالبيان بعد الإبهام، فجملة (إن الشيطان لكم عدو) تتنزل من جملة (ولا يغرنكم بالله الغرور) منزلة البيان من المبين، لذلك فصل ولم يعطف، وقدم (لكم) على الجار والمجرور (عدو)، وهذا يعد من دلالة ترتيب الكلام على إرادة المتكلم إذ يعلم السامع من وقوع وصف الشيطان عقب وصف الغرور أن الغرور هو الشيطان (Ibn ʿĀshūr, 1984).

ومن لطائف تقديم (لكم) على (عدو) هو توضيح شدة عداوة الشيطان؛ لكونها مودعة في جبلته وهي موكوله بإيقاع الناس في الفساد وأسوأ العواقب تكون في خفايا محسنة مزينة، وشواهد ذلك قد تظهر للإنسان في نفسه وفي الحوادث حيثما عثر عليها، وقد قال تعالى:(لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) (سورة الاعراف الآية 27)، فعداوته سبقت آدم (عليه السلام) وأي عداوة أعظم من أن يقول في بنيه:(وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (سورة الحجر الآية 39)، وقوله: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (سورة الاعراف الآية 16)، وقد قيل في هذا كلام رائع وهو : "يا عجباً لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته"، ثم بين مقصده في دعاء حزبه إنّما هو تعذيبهم في النار يشترك هو وهم في العذاب، لذلك هو حريص أشد الحرص حتى يبين صدق قوله: (ولأغوينهم)، (ولأضلنهم)؛ لأن الاشتراك فيما يسوء مما قد يتسلى به بخلاف المنفرد بالعذاب (Ibn ʿĀshūr,1984).

المبحث الثاني: الأسلوب القرآني بين التشابه والاختلاف والدراسة التطبيقية عليه، وفيه مطلبان

المطلب الاول: تعريف التشابه والاختلاف في اللغة والاصطلاح:

التشابه في اللغة: وهو المساواة والخلط بين شيء وشيء آخر يشبهه، والجمع يشبهه، نقول: الأمر مشتبه فيه، أي أنه ظل غامضا فيه حتى اشتبه في شيء آخر، فعندما يشتبه في شيء ما، يتم الخلط، وتسمى الأشياء المشكوك فيها مشاكل، تقول: فعلت فيّ شيئاً مريباً يا فلان، إذا شكك في الأمر، وصار الأمر مريباً، محتار، وتقول: فلان يشبه أباه، وأنت تشبهه في الشبه، والأمران متشابهان، أي يتشابهان إلى درجة الاختلاط (Ibn manẓūr,1414).

التشبيه في الاصطلاح: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكرراً"-al (Zarkashī,1376)

وعرفه ايضاً ابو البقاء الكفوي، بقوله: "ما اشتبه منه مراد المتكلم على السامع لاحتماله وجوهاً مختلفة... ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر" (Abī al-Baqā' , 845).

الاختلاف: معناه ضد الاتفاق، فهو اختلاف الشيئين اللذين لم يتفقا ويتساويا، يقال: اجعل هذا خلفاً من هذا، وخالفت فلان مخالفة اي لم اتفق معه، وتخالف القوم في مسالةٍ ما، واختلفوا إذا رأى كل واحد منهم رأي خلاف ما يراه الآخـــــــــــــــر (al-Fayyūmī ,1376).

المطلب الثاني: الدراسة التطبيقية

وفي القرآن الكريم آيات وعبارات تشبه عبارات أخرى ولا تختلف عنها إلا في جوانب بسيطة، مثلاً إذا كان الاختلاف في حرف أو كلمة فإذا تأملنا هذا التشابه وهذا الاختلاف وجدنا ذلك فهو مقصود في كل جزء، مبني على أعلى مستويات الفن والبلاغة والإعجاز، وأن القرآن الكريم يختار الكلمات بدقة ويضعها في مكان فني رائع، وكلما تأملناه أكثر وكلما اندهشنا أكثر انكشف لنا سر هذا التعبير وكنزه الخفي، فالتشابه والاختلاف من الألفاظ التي يقتضيها المعنى، ولا يترك وجه من وجوه الاقتضاء دون حساب، وهذا هو الحال ولا يقتصر على سياق الآية وحده أو في سياق السورة، وهي عامة وشاملة لجميع السور التي يظهر فيها سياق مشابه لسورة معينة، ومن هذه ألفاظ التشابه والاختلاف في القرآن الكريم أن الكلمة أو الحرف يمكن أن يتغير في الآية من سياق إلى آخر ومن سورة إلى أخرى، ثم بعد ذلك يحدث اختلاف التعبير مكانا بعد مكان أو في تاريخ بعد القصة، وهذا الاختلاف الذي ورد في القصة ليس في القرآن الكريم، ولكنه اختلاف في تعبير أحد مشاهد القصة بين السورة والسورة؛ ولأن كل سورة تتضمن جزءا من نفس القصة يتطابق مع سياق آيات السورة التي وردت فيها، فإن المشاهد كلها وقعت لنفس القصة ولا تختلف في المضمون والحقيقة؛ لأن الأمر لم يكن يتعلق بإعراب الألفاظ بصيغتها الخاصة؛ بل بذكر معناها، ولذلك إذا اختلفت الألفاظ بعضها عن بعض، وحملت المعنى المقصود، كان اختلافها واتفاقها واحداً (al-Sāmarrā'ī , 173)، ومن الآيات القرآنية التي اقتضتها الدراسة والتي اشتملت على التعبير القرآني في التشابه والاختلاف هي:

اولاً) قال الله تعالى في موضع من القران الكريم: (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ) (سورة الحجر الآية 10)، بينما قال في موضع اخر: (وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ نَّبِيٍّ) (سورة الزخرف الآية 6)، من الإعجاز البياني بين هاتين السورتين تخصيص الآية الاولى بقوله:(وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ) بينما خصصت آية الزخرف بقوله: (وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ نَّبِيٍّ)؛ والسبب في هذا التخصيص هو "أنه لما تقدم في آية الزخرف لفظ الخبرية وهي للتكثير، ناسب ذلك ذكر من يوحي إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل، فورد هنا ما يعم الصنفين (عليهم السلام)، أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يطلب بالتكثير مع ما تضمنت من قصد تأنيسه (عليه السلام) وتسليته، فخصت بالتعبير باسم الرسالة تسلية له عن قولهم: (إنك لمجنون) بما جرى للرسل قبل (عليهم السلام) من مثل ذلك، ومن البين أن موقع الرسل هنا أمكن في تسليته (عليه السلام)، فجاء كل على ما يجب من المناسبة"

(Ibn al-Zubayr ,1445).

وان لفظ (كم) الخبرية هو اسم دال على عدد كثير مبهم شاع استعماله في ذلك حتى صار الإخبار بالكثرة معنى من معاني (كم)، والداعي إلى اجتلاب اسم العدد الكثير أن كثرة وقوع هذا الحكم أدخل في زجرهم عن مثله وأدخل في تسلية النبي وتحصيل صبره؛ لأن كثرة وقوعه تؤذن بأنه سّنة لا تتخلف، وذلك أزجر وأسلى، لذا فإن الجو التعبيري لكل سورة من هاتين السورتين يقتضي وضع كل لفظة في موضعها المناسب (Ibn al-Zubayr, 1446).

ثانياً) قال الله تعالى: (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) (سورة الحجر الآية 13)، وقال في اية الاحزاب: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا) (سورة الاحزاب الآية62)، من الإعجاز البياني بين هاتين السورتين هو وجه الاختلاف فيما أعقبت به كل آية، حيث ان سورة الحجر تضمنت قوله تعالى: (وقد خلت سنة الأولين)، بينما في سورة الزخرف قال تعالى: (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)، والسبب في الاختلاف أن الإضافة تختلف بحسب ما يقتضيه التعبير، فالسنة: هي العادة المألوفة، وأضافها إلى الأولين في آية الحجر باعتبار تعلقها بهم، وتعني الطريق الذي سنه الله في العذاب عندما كانوا يكفرون الانبياء وبالكتاب الذي نزل عليهم، وهو تهديد لأهل مكة بسبب تكذيبهم؛ فعبر عن بيانه بقوله: (وقد مضى) أي انتهت سنة الله بهلاك الكفار، وبما فعله هؤلاء من الجحود والكفر يقلدونهم، لقد مضى الأسلوب الذي اتبعه الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من الإنكار والاستهزاء، فجاءت النهضة؛ للترفيه عن نبينا عليه افضل الصلاة، والتعبير عن التهديد والوعيد .(Alzmkhshry,1407)

وأما آية الاحزاب فإنه سبحانه لما قال: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ) (سورة الاحزاب الآية 60ـ 61)، أردفه بالإخبار أن تلك سنته الجارية في الذين مضوا وخلوا من قبل، وهذا كقوله تعالى: (سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ)، فهي مختصة بسنة الله في الأمم الماضية بأن يقتل الذين نافقوا الأنبياء (عليهم السلام) وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه، ومن سننه تعالى أنه يهلك المكذبين للرسل بعدما طلبوا آية ثم جاءتهم ثم واصلوا الكفر، لذلك اضاف جملة ولن تجد لسنة الله تبديلا؛ لزيادة التحقيق بأن العذاب واقع لا محالة بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا عما هم فيه وأن الله لا يخالف سنته؛ لأنها من مقتضيات علمه وحكمته فلا تجري متعلقاتها إلا عليها، فلا يوجد لسنن الله مع الاقوام الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تغير وتحويل، فوضح هذا التناسب في كل مقصد تناولته الآية وتخصصت به (al-Qurṭubī ,1384).

النتائج

1) إن الفاظ القران الكريم قد اختيرت بدقة متناهية، حيث إنّ كل لفظةٍ من الفاظه، قد احتوت على إعجاز بياني وله الأثر الأكبر في حفظ كتابنا من أي تحريف أو تغير بعد أن حفظه الله تعالى.
2) بما أن القرآن لا يمكن ترجمته حرفياً؛ بل يترجم معانيه، ومن هنا يبقى كتاب الله تعالى محتفظا بإعجازه المبين كما نزل على رسوله ، وهو ما تثبته هذه الدراسة التطبيقية من حيث الأسبقية والتأخير والتشابه والاختلاف، وكل هذا يدل على التنسيق الدقيق والتوافق السياقي بين كلماته الرائعة.
3) التشابه الدقيق بين الألفاظ القرآنية، إذ يعد من روائع البيان القرآني بين الآيات المتشابهة مع مقارنتها بالسور الاخرى التي وردت فيها هذه الألفاظ نفسها على الرغم من كونها وما تضمنته من احداث واحدة، إلا أنها اختلفت من حيث اللفظ والمعنى واحد.

References:

Al-ʻAlawī, Yaḥyá ibn Ḥamzah ibn ʻAlī. (1423 H). *Al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-ʻulūm ḥaqā'iq al-iʻjāz.*. Bayrūt.

Al-Badawī, Aḥmad ʻAbd Allāh al-Biyalī. (2005). *Min Balāghat al-Qur'ān.* Miṣr.

Al-Fayyūmī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAlī. (D.T). *Al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb al-sharḥ al-kabīr*. Bayrūt.

Al-Ḥarīrī, al-Duktūr Ḥikmat, *al-iʻjāz al-lughawī wa-al-bayānī fī al-Qur'ān al-Karīm*. (1434H).

Al-Jāḥiẓ, ‘Amr ibn Baḥr ibn Maḥbūb. (1423 H). *Al-Bayān wa-al-tabyīn.* Bayrūt : Dār wa-Maktab al-Hilāl.

Al-Jurjānī, Abū Bakr ‘Abd al-Qāhir ibn ‘Abd al-Raḥmān. (1413 H*). Dalā'il al-i'jāz fī ‘ilm al-ma'ānī*. (T. 3). Al-Qāhirah : Dār al-madanī Jiddah.

Al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá al-Ḥusaynī. (D.T) . *Al-Kulīyāt Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah*. Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah.

Al-Maṭ'anī, ‘Abd al-‘Aẓīm Ibrāhīm. (1413H*). Khaṣā'iṣ al-ta'bīr al-Qur'ānī wa-simātuh al-balāghīyah*. Maktabat Wahbah.

Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr. (1384 H). *Al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān.* (T. 3) al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.

Al-Rāzī ,Zayn al-Dīn, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (1420H). *Mukhtār al-ṣiḥāḥ*. (T. 5). Bayrūt : al-Dār al-Namūdhajīyah.

Al-Sāmarrā'ī, Fāḍil ibn Ṣāliḥ ibn Mahdī . (D. T). *Lamasāt bayānīyah*.

Al-Sāmarrā'ī, Fāḍil Ṣāliḥ.(2007). *Al-ta'bīr al-Qur'ānī.* (T. 5). ‘Ammān.

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad. (1407 H). *Al-Kashshāf ‘an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl*. (T. 3). Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh. (1376H). *Al-burhān fī ‘ulūm al-Qur'ān*. Bayrūt Lubnān : Dār al-Ma'rifah.

Ibn al-Zubayr al-Gharnāṭī, Aḥmad ibn Ibrāhīm Abū Ja'far. (D.T). *Malāk al-ta'wīl al-qāṭi' bdhwy al-ilḥād wa-al-ta'ṭīl fī tawjīh al-mutashābih al-lafẓ min āy al-tanzīl*. Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. (1984H). *Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr.* Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah.

Ibn manẓūr ,Muḥammad ibn Mukarram, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn. (1414 H). *Lisān al-Arab.* Bayrūt (T. 3).